

الذات وأزمة الهوية في رواية "أن تبقى" لخولة حمدي

Self and identity crisis in "To remain" Novel of Khaoula hamdi

سميحة كلفالي

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، samiha.1986@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/05

تاريخ القبول: 2021/03/23

تاريخ النشر: 2023/12/31

Abstract:

The postmodern Novel expresses various current human causes , perhaps the most prominent is the multiculturalism and the different emerged topics of it , essentially the identity cause and the issues it included , especially when it comes to the interaction among the ego and the other , this interaction was embodied by the Novelist Khaoula hamdi in " To remain" , Novel to reflect an aspect of reality .

Key words: Self – Identity – The Other – Novel – Khaoula hamdi.

المخلص:

عبرت رواية ما بعد الحداثة عن شتى قضايا الإنسان الراهنة ، ولعل أبرزها مسألة التعددية الثقافية وما نتج عنها من موضوعات مختلفة أهمها قضية الهوية وما تضمنته من إشكاليات خاصة حين التفاعل بين الأنا والآخر ، هذا التفاعل الذي جسده الروائية خولة حمدي في رواية "أن تبقى" ، لتعكس به جانبا من الواقع .

كلمات مفتاحية: الذات – الهوية – الآخر – الرواية – خولة حمدي.

المؤلف المرسل: سميحة كلفالي، الإيميل: samiha.1986@gmail.com

1. تمهيد:

يحتفي السرد العربي المعاصر بموضوع التعددية الثقافية نتيجة الامتزاج الحاصل بين المجتمعات واختلاف الهويات ، إذ يند الأفراد والمجموعات إلى مناطق مختلفة في العالم وهم يحملون ثقافات أممهم التي تختلف مع الثقافة الجديدة التي قدموا إليها ، فيجدون أنفسهم بين هويتهم الأصلية وهي هوية ثانوية (هوية الأقليات) وهوية جديدة هي الهوية الأساسية (هوية الأكثرية) ، فإما أن يحدث الصراع نتيجة هذا الاختلاف الديني والعنقي والثقافي ... وإما الانسجام والتجانس ، وهذا ما تحدده الذات في تفاعلها مع الآخر .

2. الذات والهوية

إن دراسة الهوية تقضي بالضرورة إلى دراسة الذات فهي في أبسط تعريفها : "الاتحاد بالذات" (الجزائر، 2011، صفحة 125) ، ولا يقصد بالذات الذات الفردية فحسب ، إنما الذات الجمعية أيضا والتي تعني "مجموعة متجانسة من الناس تتشكل الهوية فيهم ومنهم بواسطة تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه ... وهم يتألفون داخل سياق حضاري واحد وملتئم ، ليكونوا رؤية مشتركة يتفاعلون بها مع الظواهر والحالات والزمن والمكان ، ويدافعون عن وجودهم بما أتيح لهم من إمكانات دفاعية متاحة " (بركة، 2002، صفحة 86) .

كما تقتزن الهوية بالذات من المنظور السياسي ، فهي الخيط الذي ينتظم به الأفراد في الوطن والأمة أو القومية مهما اختلف الزمان والمكان ليكون عقدا يقوي وحدتهم ويصون تماسكهم ، أما علم الاجتماع فيصف الهوية بالشفرة التي يمكن للفرد من خلالها معرفة نفسه وعلاقته بالمجموعة التي ينتمي إليها (ولدخليفة، 2003، صفحة 97) .

وبعد علم النفس الأكثر احتفاء بموضوع الهوية من حيث علاقتها بالذات ، ويعتبر إريك إريكسون E.ERICSON من أبرز الباحثين النفسانيين تأكيداً لهذه العلاقة ، فهي عنده حصيـلة من الخصائص الفردية والمعطيات الاجتماعية ، تسمح للفرد بالاندماج في وسط سوسيوثقافي معين ، وهو ما ذهب إليه فيشر G.FISCHER في علم النفس الاجتماعي ، فمفهوم الهوية عنده يتجلى في تفصل السيكولوجي بالاجتماعي ، أي وعي الفرد بالقضايا الاجتماعية (عطية، 2009، صفحة 25) .

لم يكن السرد العربي بمنأى عن التطورات الحاصلة في المجتمعات ، فلم تلبث مسألة التعددية الثقافية محورا مهما بما تفرزه من موضوعات مختلفة ، وعبرت الرواية

الذات وأزمة الهوية في رواية " أن تبقى " لخولة حمدي

عن شتى قضايا الإنسان الراهنة ، ولعل من أبرزها قضية الهوية وما تتضمنه من إشكاليات خاصة حين التفاعل بين الذات والآخر .

3. بين الذات والآخر في رواية " أن تبقى "

لا تزال الرواية تقطع أشواطاً مهمة في سبيل تطورها ونضجها فلم تستقر بعد عند نقطة ثابتة ، وهو ما أقره باختين M.Bakhtine إذ يقول في ذلك : " النوع الأدبي الوحيد الذي لا يزال في طور التكوين ، والنوع الوحيد الذي لما يكتمل بعد " (باختين، 1982، صفحة 19) ، فقد نشأت تيارات ومدارس مختلفة منذ الرواية الكلاسيكية مروراً بعصر الرواية الجديدة والرواية الحداثية وصولاً إلى ما يسمى بـ "رواية ما بعد الحداثة" ، وهي التي تشغل " على استغلال طاقات مغيرة لم يكن يلتفت إليها في السرد الروائي سابقاً ، إذ إنها كانت توصف في عداد المهملات والثانويات التي لا قيمة لها في مثل هذا السرد كما كانت تفرضه نظم التعبير الحداثي في الفن الروائي ، لذا فإن عناية الرواية ما بعد الحداثية بالهامشي والمهمل والمنسي والمسكوت عنه وغير اللافت للنظر إنما جاء للخروج من هيمنة القواعد الحداثية (الصنعة) بقوادها الضاغطة " (عبيد، 2013، صفحة 7) .

حددت نبيلة إبراهيم السقف الزمني لرواية ما بعد الحداثة بالعقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين ، وهي روايات تحول السرد فيها فأصبح بنية ثقافية متعددة المعارف (بدر، 2007، صفحة 91) ، وهذا ما يجعلنا نقر بأن رواية " أن تبقى " للروائية التونسية خولة حمدي رواية ما بعد حداثية فهي تنتمي إلى الحقبة التي حددتها نبيلة إبراهيم ، مزجت فيها الروائية بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وطرقت من خلالها موضوع الهجرة غير الشرعية وما ينتج عنها من امتزاج بين الأمم كاختلاف الثقافات والدين واللغة ، محاولة عكس وجهين مختلفين لهذا الامتزاج وجه سلبي نتجت عنه العنصرية والتهميش لفئة الأقليات الوافدة ، ووجه إيجابي أسفر عن قيم مختلفة كالمواطنة والتعايش ، جسدت هذه الأفكار من خلال بيان صورة الذات في سعيها نحو إثبات هويتها خاصة حين تصيح هذه الذات في مواجهة الآخر .

صدرت خولة حمدي روايتها بإهداء إلى أولئك الذين لا يمتلكون انتماء أو هوية " أن تكون عارياً من الهوية حافياً من الانتماء ، فذلك أقصى أشكال الفقر ، إلى الفقراء الذين لما يدركوا مدى فقرهم " (حمدي، 2016) ، وجعلت بطل روايتها واحداً منهم ، خليل

دانييل الشاوي محام فرنسي ، ومرشح مستقل في مجلس البرلمان ، من أصول عربية جزائرية ، لكنه كان يرفض الاعتراف بأصله وكان اسمه العربي خليل يشكل عقدة بالنسبة له ، لكن كل هذا بدأ يتغير حين تعرف على جذوره من خلال الرسائل التي تركها له والده - نادر الشاوي - بعد موته ، والتي وصلته متأخرة عندما تجاوز سنه الثلاثين .

لم يكن خليل وحده من واجه مشكلة الانتماء ، فوالده كذلك واجه نفس المشكلة عند وصوله إلى فرنسا ، لكن المعطيات كانت مختلفة وظروف كل منهما لا تشبه الآخر ، فنادر مهاجر غير شرعي نجا من زورق الحارقة الغارق في عرض البحر بعد أن فقد نقوده ووثائقه التي تحوي أرقاما لأشخاص كان يأمل في مساعدتهم ، عانى الضياع والتشرد والمرض حتى التقى بسيدة فرنسية (ليليان) ساعدته في الحصول على الإقامة بتزويجه ابنتها (ديانا) ، في حين أن خليل ولد في فرنسا ويمتلك كل حقوق المواطن الفرنسي ، ولا يربطه بأصله سوى اسم "خليل" ، لذلك رفض في البداية الدفاع عن قضايا العرب في فرنسا كقضية التقسيم الديموغرافي وتهجير العرب إلى أحياء خاصة بهم خوفا على سمعته ، لكن الرسائل التي تركها والده كان لها أثر كبير في وعيه بذاته وهويته .

التقى نادر أثناء إقامته في فرنسا بعض الأشخاص الذين يشتركون معه في الهوية بدءا بالعراقيين اللاجئين إلى فرنسا ثم الدكتور عمر الرشدي ، باحث ومخترع أقام نادر في بيته قبل أن يتم القبض عليه بتهمة الإرهاب ، ليهرب ويتعرف بعد ذلك على جابر البناء ورفاقه في القبو ، وصولا إلى الشيخ المختار وجماعته ومن يحيطون به من عرب ومسلمين في الحي كأبي مازن وأبي صالح ومالك والشيخ البشير ...

إن المشكلة الأساسية التي تواجهها هوية هؤلاء العرب في فرنسا -هوية الأقليات - التهديد المباشر وغير المباشر لوجودها ، فهوية الأكثرية " هوية السلطة ، هوية القوة هوية الهيمنة ، تسعى دائما من أجل إبقاء أنموذج الأكثرية ، السلطة ، القوة ، الهيمنة ، هو السائد والمتسلط والطاغي ، أن تعلي من شأن أنموذجها على حساب غيرها ، حين تعتقد أن هويتها لا يمكن أن تتنافسها أية هوية أخرى مجاورة ، بل كل الهويات المحيطة لها هي تابعة لنفوذها ، ودائرة في فلكها ومستجيبة لمزاجها " (عبيد م.، 2015، صفحة 521) .

ولأن السلطة المهيمنة ترى أن هوية الأقليات مهمشة وتابعة ، راحت تفرض عليهم بعض القوانين الصارمة والجائرة خاصة أنها تتظر لهم كإرهاب يهدد أمنها أو دخلاء يقعون

في الدرجة الثانية بعد سكانها الأصليين ، لذلك فليس من الغريب أن يحدث صراع وتأزم في كثير من الأحيان ، وهو الصراع الذي صورته خولة حمدي في روايتها .

4. صراع الذات مع الآخر

أخذ الصراع في الرواية عدة أشكال أرادت الروائية أن تعكس بها الصراع كما هو في الواقع ، فطرحته قضية الإسلاميين في فرنسا ، ومسألة خارطة التوزيع الديموغرافي وعمل الأجانب في فرنسا .

1.4 الصراع الديني :

ينظر كثير من الفرنسيين للعرب الوافدين سواء أكانوا شرعيين أم غير شرعيين على أنهم إرهاب وهمجيون ، وهذا ما جعل دانيال يرفض الاعتراف بهويته ويتمسك بالهوية الفرنسية ، فيجيب مريم عندما سألته إن كان عربيا : " أنا فرنسي آنستي ، ولادة ونشأة وولاء " (حمدي، 2016، صفحة 15) ، ولعل ذلك يرجع إلى كثير من المغالطات التي أشيعت حول العرب عامة والمسلمين خاصة بسبب بعض المتطرفين الذين أشارت إليهم الروائية من خلال جماعة الشيخ المختار .

سعى الشيخ المختار إلى جمع بعض الشباب العاطل من العرب والمسلمين وضمهم إليه بإغرائهم بعرض فرص العمل عليهم والمأوى ثم تجنيدهم بعد ذلك في صفوفه ورفع راية الجهاد ، وكان نادر واحد منهم وقد أدرك تطرفه من خلال رفضه للآخرين ونعتهم بالكفر وكذلك من خلال الشعارات التي كان يرفعها في المظاهرات وخطاباته ، ناهيك عن الزي الأفغاني واللحي التي كانت تسمه وجماعته .

غمر كرم الشيخ المختار نادرا ، حتى لم ينتبه لحقيقته ، بل ربما حاجته له و للدواء المخدر الذي كان يعطيه له هي التي دفعته لمساييرته ، ورغم شبهه بجماعة الإسلاميين في الجزائر في العشرية السوداء إلا أنه لم ينعته بالإرهابي كما نعتهم وذلك ظنا منه أن الإسلامية التي هي رديفة الإرهاب في معجمه هي تهمة محلية ، يقول " ولعلك ستدرك أيضا أن تهمة الإسلامية شديدة المحلية فهي تقتصر على أبناء بلدك من دون غيرهم ... ، فتهمة الإسلامي في معجمي تعني بالضرورة الإرهابي ، السفاح ، قاتل الأبرياء ، ولم أفكر حتى تلك اللحظة في أن الشيخ المختار وعلي وبقية الرفاق قد يكونون إسلاميين ، رغم اللحي الكثة والزي الأفغاني " (حمدي، 2016، صفحة 196) .

لم يكن كل الإسلاميين إرهابا بالنسبة لنادر ، فقط أولئك الذين قتلوا الأبرياء وشاركوا في عشية الجزائر السوداء لذلك فقد كان يستثني الدكتور عمر رغم تدينه ، وبلجاً للشيخ البشير فقد كان معتدلاً وسطياً يدعوا للالتزام ومجاهدة النفس عن الأهواء والشهوات والالتزام بالعبادات ...

لم يكن الفرنسيون كنادر ، فهم لا يستثنون من العرب المسلمين أحدا ، فهم بالنسبة لهم جميعا إرهاب ، وهذا ما صرح به دانييل ، يقول : " العرب كتلة واحدة ... ما إن تنطق بالكلمة حتى تتداعى من ورائها قائمة طويلة من الأوصاف ،من ضمنها الهمجية والتخلف والإرهاب " (حمدي، 2016، صفحة 250) ، وهو ما جعل السلطة الفرنسية تأخذ حيطتها منهم وتقصي بعضهم حتى إذا لم تتوفر الأدلة الكاملة لإدانتهم ، كما حدث مع الدكتور عمر الذي اتهم بتفجير إرهابي وسط باريس و الانضمام لجماعة مسلحة رغم براءته ، فقد كان في مختبره بصدد تنفيذ مشروع لاختراع مولد طاقة ، فحدث الانفجار دون أن تكون له أي علاقة بالجماعة المسلحة ، ورغم ذلك أوقف مع المشتبه بهم وحكم عليه بالسجن عشرون عاما ، " في ذلك اليوم خرج الفرنسيون إلى الشوارع في احتفال مشهود بانتصار العدالة ، رفعوا اللافتات المناهضة للإرهاب ، وغنوا بصوت واحد من أجل وحدتهم وهويتهم الوطنية التي تقصي كل الدخلاء " (حمدي، 2016، صفحة 267) .

لم يكن إقصاء الفرنسيين للإسلاميين فقط ، بل تجاوزهم للعرب الذين يقطنون في أحياء خاصة بالفرنسيين الأصليين ، وذلك بتهجيرهم إلى أحياء خاصة بهم .

2.4 الصراع العرقي :

مريم وعائلتها نموذج لمعاناة العرب في فرنسا نتيجة مشروع خارطة التوزيع الديموغرافي الذي شرعت السلطات الفرنسية في تنفيذه ، وقد بدأ بحركة انسحاب طوعي للعائلات الفرنسية من أصول أوروبية من الأحياء ذات الأغلبية العربية والإفريقية ، كما انسحبت بعض العائلات من أصول مهاجرة أو طرقت من أحياء ذات أغلبية أوروبية ، وقد تواطأت الدولة ويسرت المهمة لكل من يبغى الرحال حتى قنن الدستور الفرنسي قانون الهجرة الداخلية ، غير أن بعض العائلات قاومت ورفضت الانتقال ومنها عائلة مريم التي لجأت إلى المحامي خليل دانييل الشاوي ليتولى قضيتها لعله يتعاطف معها باعتبار أصوله العربية ، لكنه أنكر في البداية ورفض تبني قضيتها ، لكن مع مرور الزمن واحتكاكه بالعائلة أدرك أن هناك قواسم مشتركة بينهم ، ما جعله يدافع عنهم وعن كل من يشاركهم قضيتهم

لدرجة أن تصبح تلك القضية من أولوياته إذا ما حاز على مقعد في البرلمان : " ستكون من أولى أولوياتي إذا ما جلست يوما على مقعد البرلمان أمثل هذه الدائرة . منذ عقد أو أكثر بدأنا في تطبيق نظام التقسيم الجغرافي للمدينة الواحدة حسب الأصول الإثنية للمقيمين بكل جهة ، وقد انجر عن ذلك ظلم شديد على عائلات كثيرات ، عائلات حرمت من ديارها التي أفنت عمرها ترفع جدرانها وتشيد أسقفها وتزين واجهاتها ، ليأتي نظام التقسيم ويطلب منها ببساطة أن تتركها وترحل نحو بيوت أخرى في أحياء بعيدة لم يجمعها بها تاريخ مشترك ولا ذكريات " (حمدي، 2016، صفحة 379) .

لم تكن العائلات ذات الأصول غير الفرنسية في الدرجة الدنيا وحدها ، فقد كان هناك من هو أكثر دنيوية منها ، إنهم العمال الكادحون الذين تركوا ديارهم بحثا عن العمل وأكثرهم من المهاجرين غير الشرعيين أمثال رفاق نادر في القبو الذين يشتغلون في الأعمال الشاقة والبناء ، بل ربما يضطر أحدهم ليخاطر بحياته لصالح مختبرات الأدوية لتجرب عقاقيرها عليه ، وهؤلاء جميعا لا يحضون بأي امتيازات ما عدا الرعاية الصحية من قبل بعض الجمعيات والمتطوعين .

أما أولئك الذين اختاروا التسول والسرقة أو فرضت عليهم ظروفهم ذلك ، فهم ليسوا منبوذين من السلطات الفرنسية فحسب ، بل هم عالية حتى على العرب فقد شوهوا سمعتهم بتصرفاتهم التي يفرضها الإسلام وترفضها العروبة ، وقد سلك نادر هذا السبيل حين أغلقت في وجهه كل السبل لولا مصادفته للدكتور عمر الذي ساعده وأبعده عن الفساد ، يقول " أنا عربي ولا أتشرف بالعرب أمثالك . مرغتم رؤوسنا في الوحل بتصرفاتكم غير المسؤولة ، بعضنا يجاهد ليشق طريقه بشرف وكرامة في حين أن البعض من أمثالكم يسيئون إلى العروبة والإسلام كل يوم ... ، يعطون فرصة لكل من يريد الطعن في عزتنا وديننا ويغنون الكراهية والاحتقار تجاه المهاجرين العرب . لذلك لا تخاطبني باسم عروبتيك المزعومة " (حمدي، 2016، صفحة 88) .

لم تقف الروائية خولة حمدي عند عرض نماذج الصراع بين الذات والآخر فحسب ، بل عملت على نقل الوجه الآخر للعلاقات بينها من خلال عرض قيم المواطنة والتعايش .

5. المواطنة والتعايش بين الذات والآخر

ليس كل ما في فرنسا رفض للآخر إنما يحدث الانسجام والتعايش من خلال عدة مظاهر حاولت الروائية إبرازها أهمها :

1.5 المثاقفة :

نقصد بالمثاقفة تمازج الثقافات وتفاعلها مع بعضها مما يدل على تقبل الآخر ،
كاختيار سيلين اسم مريم لابنتها " يذكر الآن أن سيلين اقترحت الاسم ، صارت موضوعة
عند الفرنسيين أن يهبوا لأولادهم أسماء شرقية نوع من مواكبة العولمة وتحطيم للحدود
الجغرافية " (حمدي، 2016، صفحة 99) ، وإقبال بعض الفرنسيين والمغتربين على تعلم
اللغة العربية ، " شقيقان تركيان وعدد من الفرنسيين حديثي الإسلام إضافة إلى شيخ مغربي
طاعن في السن يتمنى أن يفك شفرة مصحفه ويتعرف إلى مقاطعه " (حمدي، 2016،
صفحة 160) .

2.5 تعدد السلالات وتمازجها :

لم يكن نادر عنصريا متعصبا كجماعة المختار ، الذين يرفضون كل من يختلف
عنهم خاصة الفرنسيين فسرعان ما اختلط بليليان وابنتها ديانا وأصبح يتردد عليهما حتى
تزوج بديانا، وقد بارك الشيخ البشير زواجهما عكس المختار الذي غضب منه غضبا شديدا
بحجة أنها نصرانية .

لم يكن نادر الأول في عائلة الشاوي الذي يتزوج أجنبية ، فجده تزوج ساكورا اليابانية
بعد تعرفه عليها أثناء إقامته بفرنسا ، قبل أن يعود إلى الجزائر ويتزوج زوجته الثانية التي
أنجب معها ولدين - والد نادر وعمه - اللذين تزوجا بشقيقتين تونسييتين ، وهما هو خليل ابنه
يتزوج من سيلين الفرنسية ، يقول نادر " نحن عائلة الشاوي فينا الهوى الأجنبية ،أكاد أجزم
أنها سمة وراثية تنتقلها الجينات منذ أجيال ، تختلط نطفنا بنطف من شتى الملل " (حمدي،
2016، صفحة 166) .

أشارت الروائية إلى نموذج آخر لامتزاج السلالات من خلال شخصية رنيم
الفرنسية من أصول مصرية ، تقول : " وقد حرصت على أن ينشأ أبنائي على هذا
المبدأ ، التوازن وثراء الثقافة الشخصية ، الخيارات ... كل منهم اتخذ قراراته الخاصة حين
نضجت الهوية واتضحت معالمها " (حمدي، 2016، صفحة 272) . ورنيم محامية
ناجحة استطاعت أن تقرض نفسها في فرنسا وقد غدت ابنيها بالثقافة اللازمة وغرست فيهما
معالم هويتهما ليتمكن كل منهما من تقرير مصيره .

3.5 التعايش والمواطنة :

حاولت خولة حمدي أن تنفي تهمة التطرف والإرهاب على الإسلاميين ، فليس كل من لبس عباءة أفغانية والتحق وقتل الأبرياء بحجة الجهاد فهو إسلامي ، بل العكس فقد أرادت أن تثبت المعنى الحقيقي للجهاد ، وبينت أن الإسلام دين تسامح ورحمة ، وذلك من خلال خطبة الشيخ البشير الذي دعا إلى الاندماج والتعايش شرط الحفاظ على الهوية وعدم التبعية " الفخ الأول يا إخوتي هو التبعية ، أن يستسلم المرء أمام مغريات الحياة في الغرب وينسى هويته " (حمدي، 2016، صفحة 178) .

عدم الانقياد وتبعية الآخر لا يعني أن يبقى المسلم في عزلة ، بل يجب أن ينسجم ويكون عضوا فعالا ، يضيف الشيخ البشير : " مع أن المسلم يجب أن يكون عضوا فعالا في المجتمع ، أي مجتمع كان ، بحركيته ، باهتماماته ، بانسجامه ، هو داعية ، هو قدوة هو واجهة للإسلام " (حمدي، 2016، صفحة 178) .

كما حذر الشيخ البشير من العدوانية والعنف الذي تتادي إليه بعض الجماعات باسم الإسلام يقول عنه " هو أمر للأسف تقع فيه جماعات تسمي نفسها بالإسلامية والإسلام منها بريء ، الإسلام لم يقل اعتدوا على الأمنيين وروعوا المواطنين ، لم يقل هددوا وأفزعوا وعادوا " (حمدي، 2016، صفحة 177) .

ما رغب فيه الشيخ البشير وما رهب عنه في خطبته شبيه بنود معاهدة يفترض على كل مهاجر العمل بها من أجل التعايش مع الآخر .

تقبل نادر للآخر مكنه من التعايش مع المجتمع بكل فئاته والأجناس الموجودة فيه سواء قبل زواجه من ديانا أو بعده ، ولعل خير مثال على ذلك رفقاء الحي أو " شلة المقهى " كما يسميهم فكل واحد منهم من جنسية مختلفة ، لكنهم استطاعوا الاندماج مع بعضهم . ديانا أيضا استطاعت أن تتعايش مع عائلة الشاوي وهي الشابة التي نشأت وترعرعت في فرنسا ، هاهي تنتقل إلى الجزائر بحثا عن ابنها فتستقر في قرية جبلية وتتعايش مع عائلة زوجها حتى وفاته .

6. الذات بين هويتين

ينقسم العالم إلى جماعات مختلفة ، والتوحد بجماعة يشترك أفرادها في الإحساس بالانتماء والشعور بالهوية المشتركة هو ما يطلق عليه " الهوية الاجتماعية " (الجزار،

(2011، صفحة 123) ، لذلك فإن ميلاد خليل دانيال الشاوي في فرنسا ونشأته فيها وتعلمه في مدارسها وزواجه من إحدى بناتها هو الذي جعله يبرر انتماءه لها واختياره الهوية الفرنسية مع إنكاره لأصله ، رغم أنه كان يتعرض أحيانا للعنصرية بسبب أصله أو بسبب اسمه ، لكن ذلك لم يَأْثُرْ فيه ليتراجع عن موقفه حتى وصلته رسائل والده ، وتولية لقضية عائلة مريم الذين تعاطف معهم لما تعرضوا له من ظلم من السلطة الفرنسية بسبب جذورهم العربية .

نقرض الهوية الاجتماعية تشكل جانب مركزي من تعريف الذات لكن هذا لم يحدث مع خليل فمع محاولة إقناع نفسه بأنه فرنسي هنالك من يذكره بأصله وجذوره يقول : " لقد عشت طيلة حياتي أحاول أن أجد لي مكانا بين أهل الشمال ، متجاهلا الجذور التي تشدني إلى الجنوب ، كنت أقنع نفسي بأن ذلك الخيط الذي يربطني بذلك الأصل قد انقطع وتلاشى ، أنا فرنسي كما يجب أن يكون الفرنسي " (حمدي، 2016، صفحة 149) .

قطعت ديانا على زوجها عهدا بأن تترك خليل في الجزائر ليعيش في أرض أجداده ، لكنها لم تستطع البقاء فعادت إلى فرنسا لكنها حرصت على تذكير ابنها بأصله وهويته من خلال رسائلها التي تقتنحها بقولها " هذا تاريخك ، ميراثك ... احمله على عاتقك وسر به في الطريق التي تختارها ، لكن لا تهمله أو تتخلى عنه ، فأنت لاشيء دون ماضيك وجذورك " (حمدي، 2016، الصفحات 370-371) .

وصلت رسالة ديانا متأخرة إلى ابنها خليل ، فهي لم تذكره طيلة ثلاثين سنة بماضيهِ لذلك وجد نفسه ضائعا بين هويتين " لقد حاول كل منهما أن يشدني إلى حضارته وثقافته ، أبي خطفني وسافر بي إلى الجزائر حين علم بقرب أجله .. أراد لي أن أعيش في كنف أهله وأتشرب هويته . خاف أن تمحي بصمته من وجودي بعد رحيله ، وأمي خطفتني بدورها حين تسنت لها الفرصة ، وعدت أن تحفظ في تكويني ثنائية الهوية لكنها أخلفت وتكررت لعودها . قالت إنها خافت علي من هوية كانت ومازالت محل اهتمام " (حمدي، 2016، صفحة 372) ، وهو ما دفعه ليلجا إلى المحامية رنيم التي تشببهه من حيث النشأة والأصل .

لم تنكر رنيم هويتها العربية رغم جنسيتها الفرنسية ، بل دافعت على قضايا العرب في فرنسا وأهمها قضية الدكتور عمر الذي اتهم بتفجير إرهابي ، وقد اعتبرت قضيته قضية

الذات وأزمة الهوية في رواية " أن تبقى " لخولة حمدي

مواجهة مع الذات " كانت بالنسبة إلي مواجهة مع ذاتي ، بين الهوية العربية المسلمة التي أحملها بالوراثة والهوية الفرنسية المتحررة التي أطمح للانتماء إليها " (حمدي، 2016، صفحة 373) ، وهو ما شجع خليل ليتبنى قضية الدفاع عن المهجرين العرب إلى أحياء خاصة بهم ، ويعلن عن ذلك في برنامجه الانتخابي تحت شعار " الوطن للجميع " .

7. خاتمة:

- أرادت خولة حمدي في رواية " أن تبقى " أن تعكس صورة مصغرة عن واقع العرب في فرنسا ، فهم مع اختلافهم في ظروف هجرتهم ونمط معيشتهم إلا أنهم يتفقون في مواجهة إشكالية واحدة وهي إشكالية الهوية .

- تجد الذات نفسها بين هويتين هوية الأصل ، هوية الآباء والأجداد وهوية أخرى هي الهوية الاجتماعية بحكم الاندماج في المجتمع الفرنسي ، غير أنها تبقى مهمشة وخاضعة لقوانين جائرة .

- أبرزت خولة حمدي وجهين مختلفين في علاقة الذات مع الآخر ، فهي تواجه صراعا دينيا عرقيا من جهة ، وتسعى للتعايش والاندماج من جهة أخرى .

- دافعت خولة حمدي عن المسلمين الذين يعيشون في فرنسا ونفت عنهم تهمة الإرهاب فهؤلاء شوهوا معنى الإسلام الذي يرفض كل أشكال العنف والتطرف والهمجية (جماعة الشيخ المختار)، ويدعو إلى الاعتدال والرحمة والتسامح (الشيخ البشير والدكتور عمر) . كما دافعت عن حقوق العرب ذوي الجنسية الفرنسية (عائلة مريم) .

- دعت الروائية إلى ضرورة تعايش الذات مع الآخر بشرط أن تكون فعالة ، وأن لا تنتكر لهويتها الأصلية ، وأعطت نماذج من شخوص روايتها وعلى رأسهم المحامية رنيم والبطل خليل دانييل الشاوي الذي أثر التعايش مع المجتمع الفرنسي دون التنازل لهويته العربية .

6. قائمة المراجع:

- بسام بركة ، اللغة العربية - القيمة والهوية ، مجلة العربي ، ع : 528 ، نوفمبر، 2002.
- خولة حمدي ، أن تبقى ، كيان للنشر والتوزيع ، (القاهرة : كيان للنشر والتوزيع ، 2016).
- سوسن البياتي - محمد صابر عبيد ، رواية مابعد الحداثة - قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله ، منشورات الاختلاف ، (الجزائر: منشورات الاختلاف ، 2013).
- فاطمة بدر، تحولات السرد في روايات مابعد الحداثة ، مجلة الأكاديمي ، ع46 ، جامعة بغداد ، 2007.
- محمد العربي ولد خليفة ، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية ، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 2003).
- محمد صابر عبيد ، إشكالية الهوية - الرواية السير مكانية وسرد مابعد الحداثة ، التعددية الثقافية في اللغة والأدب ، نوفمبر 2015 ، جامعة الزيتونة ، الأردن .
- محمد عبد الرؤوف عطية ، التعليم وأزمة الهوية الثقافية ، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع (القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ، 2009).
- ميخائيل باختين ، الملحمة والرواية ، تر : جمال شحيد ، دار الإنماء العربي (بيروت: دار الإنماء العربي . 1982).
- هاني الجزار ، أزمة الهوية والتعصب - دراسة في سيكولوجية الشباب ، هلا للنشر والتوزيع ، (القاهرة : هلا للنشر والتوزيع ، 2011)